**كتاب "الصدع الكبير؛ محنة السياسة والأيدلوجيا والسلطة في اختبارات الربيع العربي"**

**مراجعة: أ. يحيى قاعود[[1]](#footnote-1)\***

**المؤلف: ماجد كيالي**

**الناشر: المؤسسة العربية للدراسات والنشر (عمان ـ بيروت)**

**سنة النشر: 2021.**

تقديم

لم يكن كتاب ماجد كيالي، الكاتب السياسي الفلسطيني المقيم في سورية حتى بدء الأزمة، الأول الذي يناقش إشكاليات العالم العربي، أو الثورات العربية، بل سبقته كتب ودراسات عدة، ليس هذا فحسب. وإنما كتب ماجد كتاباً يحمل عنوان "قيامة شعب"، والذي أبدى به إعجابه بالجماهير العربية وخروجها للشوارع والميادين. ومع ذلك، ناقش المشكلات السياسية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية، مؤكداً في قراءته الأولية للثورات العربية، ضعف فرصة معالجة تلك الإشكاليات دفعة واحدة، دون المتابعة النقدية المسؤولة والمعالجات الجادة.

يندرج الكتاب الحالي، في مجال دراسة المجتمع العربي، حيث يتميز الكتاب بمناقشته الجادة والعميقة للإشكاليات البنيوية في العالم العربي الأيديولوجية والسياسية بين فترتين، ما قبل "الربيع العربي" وبعده. وبالرغم من تعدد الكتب والدراسات التي ناقشت ثورات الربيع العربي إلا أن كتاب "الصدع الكبير" يناقش الإشكاليات البنيوية المتراكمة ومركباتها الأيديولوجية، والسياسية، والسلطوية، ويقترح حلولاً لها عبر 312 صفحة من القطاع الوسط، تغطي أربعة أقسام رئيسية، وموزعة على ثلاث إشكاليات رئيسه: الأولى، تتعلق بنقص الدولة والمواطنة في العالم العربي. والثانية، تتعلق بمشكلات الانقسامات الطائفية والإثنية في البلدان العربية، أما الثالثة، تتعلق بالتوترات والتنازعات بين ما هو ديني ودنيوي في السياسة.

1. اختبارات الدولة والمواطنة والديمقراطية في العالم العربي

قدم الكاتب في القسم الأول من كتابه المواطنة والتشكيلات الأيديولوجية في حدود الدولة القومية، والتي يعتبرها الكاتب حجر الزاوية في كل ما يجري في المجتمعات العربية. أسهب كيالي في تأصيل وتفصيل الأحزاب الاشتراكية والدينية في المجتمعات العربية، ولم ينس عرض الأحزاب العلمانية لكن دون أن يسهب بها. وخلص إلى أن معظم الأحزاب والتيارات السياسية والفكرية انشغلت بقضايا كبرى، عبر شعارات رنانة كتحرير فلسطين والوحدة العربية، دون تحديث سياسي وقانوني ومجتمعي، ولا حتى على مسألة المواطنة، ومن ضمنها حقوق المرأة ومكانتها الاجتماعية والسياسية. ورغم صعوبة الحديث والإلمام بمشكلات المجتمعات العربية التي ناقشها الكاتب، خاصة المجتمعات التي حدثت بها الثورات، والتي حملت شعارات الحرية والعدالة، خلافاً للأفكار التي تتبناها الأحزاب والتيارات السياسية؛ وذلك لتشابك القضايا والمشكلات بشكل عام، وخصوصية المجتمعات واختلافاتها بشكل خاص.

مع ذلك، كانت رؤية الكاتب المعممة واضحة في مناقشة الإشكاليات الكبرى بشأن معنى الحرية في الثورات العربية، والتي تنبثق من مستويات عدة بعضها سياسي نابع من الغياب التاريخي للمشاركة السياسية، وتقاليد العمل السياسي والحزبي، وبعضها اجتماعي- اقتصادي ناجم عن ضعف التمدن، وتخلف الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية.

يجادل الكاتب، في نهاية القسم الأول، فترة التحول الديمقراطي في بلدان ثورات الربيع العربي، تحديداً جمهورية مصر العربية والجمهورية التونسية، ويسوق كيالي أمثلة متعددة في كتابه كالتجربة الانتخابية والحزبية، ما بعد الربيع العربي، وكيف أثرت تلك التجربة سلباً وعمقت الإشكاليات البنيوية في المجتمعات العربية، على الرغم من أن الدساتير الجديدة وضعت بإرادة شعبية، فإشكالية تطبيق الديمقراطية إدارياً وسياسياً، بالإضافة إلى المشكلات الاقتصادية والاجتماعية القائمة في كل من مصر وتونس، وهو ما أعاد انتاج أحزاب وصلت للحكم، وسعت للتفرد بالسلطة. في مقابل قوى وأحزاب سعت لإسقاطها بطرق وآليات جديدة.

يختم كيالي القسم الأول، بعرض المشكلة الرئيسية فيه وهي "الوعي المتعثر بالديمقراطية والتي تعوق التحول نحو الديمقراطية، بمعناها الحقيقي. ويطرح كيالي رؤيته بأن تطبيق الديمقراطية بحاجة لمعالجة تلك الإشكاليات، ولحوامل ليبرالية لتحديث المجتمعات وتطورها.

1. مصادر الصراعات الطائفية والإثنية...أبعادها ومصائرها

يجادل كيالي في القسم الثاني من الكتاب مسألة "الطائفية" كواحدة من أهم وأكبر المعضلات التي تعوق مسار الاندماج في المجتمعات العربية، وتعقد الصراعات على السلطة القائمة. ويقر الكيالي بأن مصدر تلك النزاعات ليس الدين بحد ذاته، وإنما النزاع مستمد من القضايا الدنيوية والسلطوية والاقتصادية والهيمنة، ويسوق دليل إيمان السنة والشيعة بنفس المعتقدات الإسلامية. ويجادل كيالي بأن المسألة الطائفية، داخلية وليست معطى خارجي "سياسة فرق تسد"، وإشكاليتها قائمة لعدم مواجهتها وصوغ الحلول الملائمة لها.

ويطرح الكاتب أمثلة متعددة حول الصراعات الطائفية في الوطن العربي، سواء التمدد الإيراني، أو الطائفية العراقية والسورية، لإثبات أن الصراع الطائفي؛ صراعاً سياسياً وليس دينياً؛ فقد قام النزاع الإيراني- العربي بأبعاد سياسية، سيما مع محاولات إيران مد نفوذها في العديد من البلدان العربية، بهدف تعزيز مكانتها الإقليمية. أما الصراع السياسي السوري فهو نتاج تعميم النزعة الطائفية، الذي ساهم في شرذمة المجتمع. ويكمن الحل من وجهة نظر كيالي للمسألة الطائفية "سياسي" قائم على الاعتراف بكافة الطوائف والإثنيات ضمن الدولة والمواطنة، وليس بإلغاء الطوائف أو تجاهل وجودها.

**3-** إشكالية الديني والدنيوي في السياسة والدولة

يستكمل ماجد كيالي في القسم الثالث من كتابه جدلية العلاقة بين الديني والدنيوي في البلدان العربية، ويشخص الإشكاليات القائمة بين الإسلاميين والعلمانيين، بعد مناقشته للطائفية بكافة تياراتها في القسم الثاني. وبالرغم من ازدياد نفوذ الحركات الإسلامية بعد ثورات الربيع العربي، وصعودها إلى الحكم، إلا أن ماجد كيالي يقر بأن إشكاليات التيارات الحزبية سواء الدينية بمختلف تياراتها، أو العلمانية لم تنته بعد. علاوة على ذلك، الإشكاليات القائمة بين الديني والدنيوي ليست فكرية تطويرية للمجتمع وبنيته بقدر ما هي مشاكل على السلطة والحكم.

أثبتت التجربة الديمقراطية في العديد من البرلمانات العربية، بأن إشكاليات الائتلاف والتعاون بين الأحزاب الدينية والدنيوية بحاجة معالجة من أجل تشكيل حكومات قادرة على قيادة المجتمع وخدمته، سواء في دول الربيع العربي أو غيرها. ومع ذلك هذا لم يحدث، وهو ما يوضح إشكاليات العمل القائمة لكافة التيارات وإيجاد تفاهمات وتوافقات لإدارة الشأن العام.

سعى ماجد كيالي في كل الإشكاليات السابقة الاعتماد على منهج المقاربات في تحليل المشكلات القائمة وآليات معالجتها، تحديداً في الغرب، وقدم الآليات التي تمت من خلالها معالجة طبيعة العلاقة بين التيارات الدينية والدنيوية في العالم الغربي، وكيفية الاستفادة من تلك التجارب في إنهاء تلك الإشكاليات في العالم العربي.

4- نقاش في إشكاليات الحالة السورية

أسهب الكاتب في القسم الأخير من كتابه، في مناقشة إشكاليات الحالة السورية وتعقيداتها، باعتباره مقيماً في سورية ومطلعاً على كل مركباتها الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والثقافية، والتي تمحورت حول مفاهيم النصر والهزيمة، الشرعية والمشروعية، والتجاذبات الداخلية والخارجية، واستراتيجيات القوة التي سلكها النظام السوري.

باتت الحالة السورية كما عرضها الكتاب، في مواجهة تحديات وتخوفات عدة مختلفة تماما ًعن الثورات التي اندلعت في بدان عربية أخرى، وأصبح مصير الثورة متوقفاً على كيفية إدارة تلك الإشكاليات والتحديات، خاصة ظاهرة العنف وعسكرة الثورة، وما يمكن أن تخلفه على وحدة المجتمع السوري في ضوء التدخلات الدولية. وفي خاتمة تحليلات كيالي للحالة السورية يقفز للأمام قبل إنهاء الأزمة القائمة ويقدم الحل بصوغ دستور سوري يحدد النظام السياسي الذي يريده الشعب.

في الختام

يعد كتاب ماجد كيالي "الصدع الكبير" قيمة مضافة للفكر السياسي العربي الذي يتناول إشكالياته الاجتماعية والسياسية والاقتصادية، محاولاً البحث عن حلول وبدائل جديدة كلياً للإشكاليات العربية بعد تشخيص الحالة العربية الراهنة بمختلف مفاصلها وأحداثها ومجريات التحولات قبل وبعد "الربيع العربي".

1. \* باحث في العلوم السياسية والسياسات العامة [↑](#footnote-ref-1)